

٢٥ محطة في ٤٢ يوماً حض فيها المنتشرين و"أهل القرار" على المساعدة ويعود اليوم

البطيريك الماروني: لبنان أقوى بلد في المنطقة

لأن نظامه يرتكز على الشعب وليس على الشخص

هاليفاكس (كندا) - من حبيب شلوق: (النهار ٢٧/٣/٢٠٠١)

٢٥ محطة في دولتين كبيرين انجزها امس البطيريك الماروني الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير، حاملاً معه املاً في ان يدعم اللبنانيون المنتشرون وطنهم الاول خصوصاً لدى "اهل القرار"، ويعودون اليه ولو لفترة. والبطيريك صفير قال كلمته وعاد...

رحلة ماراتونية قام بها البطيريك الماروني الى الولايات المتحدة الاميركية وكندا، استمرت ٤٢ يوماً، (من ١٣ شباط الى ٢٧ آذار)، منها نحو خمسة ايام تنقلات، اربعة منها في الطائرات ويوم كامل في السيارات. والراعي استمع الى هموم رعيته، وحمل اليهم املاً في لبنان الذي لا يزالون يتمسكون بولائهم له وحمل معه منهم شكاوى وأشواق.

وقال البطيريك صفير كلمته للمنتشرين والمسؤولين الذين التقاهم معلناً "اننا لا نرضى ان يقرر عنا مصيرنا من يريد ان يقرره في غيابنا". وأكد ان لبنان "اقوى بلد في المنطقة من اي بلد آخر لأن نظامه يرتكز على الشعب وليس على الشخص. وأمل في لبنان كبير. ولبنانه هو "لبنان المسيحي - المسلم" وليس لبنان فئة دون اخرى.

ممثلة الملكة

اختتم البطيريك صفير زيارته للولايات المتحدة وكندا، بمحطة حادية عشرة في كندا، وخامسة وعشرين في جولته الطويلة على دولتين كبيرتين من دول الانتشار اللبناني.

ومحطته في هاليفاكس في مقاطعة نوفاسكوشيا الكندية توجهها بعد ظهر الاحد (ليل الاثنين - الثلاثاء) بقاء مع ممثلة الملكة في مجلس النواب الكندي مايرا فريمان التي رحبت به مشددة على اهمية زيارته لكندا، وقدرت الدور الذي يقوم به اللبنانيون.

وفهم ان فريمان ابدت تفهماً واضحاً لموقف البطيريك صفير متمنية له التوفيق في حملته لارساء سلام دائم في لبنان. ورافق البطيريك صفير في الزيارة المطارنة رولان ابو جودة وجوزف خوري وشكر الله حرب وطانيوس الخوري وبولس منجد الهاشم وكاهن رعية سيدة لبنان في هاليفاكس المونسنيور خيرالله عوكر، والقنصل الفخري للبنان وديع فارس. وألقى البطيريك صفير كلمة في المناسبة جاء فيها: "ان هذا الاستقبال الذي تفضلتم وخصصتمونا به، موجه الى ابناء كنيسةنا المارونية ووطننا لبنان، ولولاهم لما كان تسنى لنا ان نزوركم، لذلك اننا اذ نشكر لكم حفاوتكم بنا اسمحوا لنا ان نشكرهم لأنهم حصلوا على تقديركم بمساهماتهم في السعي الى ازدهار مدينتكم ومنطقتكم، بعملهم الدؤوب، وجديتهم، ورسالتهم، وهذه فضائل ورثوها عن آباؤهم وأجدادهم، ولكنهم نموها في كندا وأضافوا اليها ما حصلوه من علم ومعرفه، وما تعودوه هنا من دقة وتقيّد بالنظام، وبفضل ما يتمتعون به من جو حرية يسمح لهم بتحقيق طموحاتهم المشروعة. ان كندا كلبنان، تستقبل جميع اصناف الناس القادمين اليها من جميع دول الشرق الاوسط وأميركا اللاتينية وحتى الشرق الاقصى، ولكنهم ينصهرون في بوتقة المجتمع الكندي، ليصبحوا مواطنين كنديين مخلصين لوطنهم الكبير كندا.

ان لبنان ايضاً يمتاز بمن استقبل من مجموعات بشرية مختلفة الاديان، ومعلوم ان فيه ١٩ طائفة منها سبع طوائف كاثوليكية وخمس ارثوذكسية، والطوائف الاخرى للمسلمين من مذاهب مختلفة، وهم يعيشون معاً في جو من الاحترام المتبادل على الا يتدخل في ما بينهم من يفرق صفوفهم. وهذا ما أورث لبنان حروباً استمرت سبع عشرة سنة، ولم تنته ذيلها بعد، وهناك قرارات اخذت على مستوى الامم المتحدة، واتفاق اقرته الاسرة الدولية، هو اتفاق الطائف الذي لم ينفذ انتقائياً، وهذا ما خلق هذا الجو من عدم الاستقرار في لبنان.

اناً، اذ نجدد شكرنا لسيداتكم على هذا الاستقبال الودي الذي اردتم ان تقيموه لنا ولمرافقينا، نسأل الله ان يكافئكم عنا خيراً، وان يوالي نعمه عليكم وعلى بلدكم المضيف كندا، وان ينشر سلامه على الشرق الاوسط، وخصوصاً على لبنان والعالم اجمع".

ثم تبادل صفيير وممثل الملكة هدايا في المناسبة.

وعلى الاثر عقد البطريرك صفيير اجتماعات مع لجان اجتماعية وكنيسة، في صالة كنيسة سيدة لبنان في هاليفاكس، واستمع الى مطالبها.

برنس ادوارد ايلاند

والتقى البطريرك صفيير ايضاً، وفداً من موارنة برنس ادوارد ايلاند (جزيرة الامير ادوارد المقاطعة الصغرى في كندا) التي تبعد عن هاليفاكس اربع ساعات في السيارة. وهم اتوا خصيصاً الى هاليفاكس لمقابلة البطريرك الماروني وعرضوا معه مشروع بناء كنيسة مارونية جديدة.

وعلم ان الوفد وأكثرية من الجنوب عرض مع البطريرك صفيير وضع ابناء الشريط الحدودي الذين لجأوا الى اسرائيل اضافة الى اوضاع السجناء منهم، وناشده بذل مزيد من المساعي للتوصل الى حل لقضيتهم.

ثم التقى وفداً من الجمعية اللبنانية - الكندية قدم اليه لوحة تذكارية.

وكان استقبال اقيم بعد ظهر الاحد (ليلاً بتوقيت بيروت) على شرف البطريرك صفيير والوفد المرافق في فندق "ويستن" في هاليفاكس شارك فيه القنصل الفخري العام للبنان وديع فارس والسيدة ماري - آن ماك غرات ممثلة رئيس وزراء نونفا سكوشيا والدكتور جيم سميث ممثلاً زعيم الحزب الليبيرالي وهو عضو في مجلس النواب الفيديريالي، والسيدة أليسا ماك دونا زعيمة الحزب الديموقراطي الجديد في كندا وهي نائبة فيديريالية، والسيناتور جان بيوكانن وهو مرشح لرئاسة الوزراء في نونفا سكوشيا، ورئيس اساقفة هاليفاكس في الكنيسة الكاثوليكية تيرنس بريندرغاست، والرئيس السابق للاساقفة في المدينة جيمس هايز، وكاهن رعية الروم الارثوذكس المتقدم في الكهنة مكسيموس صيقلبي وحشد كبير من الشخصيات بلغ نحو ٧٠٠ شخصية، اضافة الى وجوه اغترابية عدة بينها غسان حداد (رئيس مجلس رعية الروم الارثوذكس) وبشير التولاني وقد حضر على كرسي متحرك، والقنصل الفخري السابق للبنان جورج عرب، والسادة: جو إدو، حبيب حبيب، طوني فضول، جورج وطوني وايلي ابي خليل، جبور بردقان، جان وعدنان وعلام الراسي، جوزف لآبا، جورج الحاج، انيس نعمة، رامز حداد، كلود ايوب، موريس حبشي، جورج وسلوى حبيب، تريزيا شربل مسعود ورئيس الجمعية الكندية - اللبنانية في هاليفاكس جوزف دانيال وآخرون.

النشيدان الوطنيان اللبناني والكندي اداهما ايلي صعب عزفاً وانشادا، ثم كلمتان تعريفية الاحتفال نائب رئيس مجلس الرعية المارونية وامينة السر رانيا سيدة، ثم تحدث القنصل الفخري وديع فارس قال: "لبنان الذي عانى الكثير عبر تاريخه، صمد وبقي وسيبقى بقدر ما يرص اللبنانيون صفوفهم ويوحدون كلمتهم ويعمقون ثقافتهم بعضهم ببعض وبمستقبل بلدهم.

بالطبع، ليس حبا بالسفر والتتزه، ولا لايفاء النذورات حملتم لبنان على كتفيكم وفي جبتكم وقلبكم ذخيرة، وجئتم الينا... بل لاشاعة ملامح القيامة المجيدة التي طالما انتظرناها.

وهذه اللفتة منكم تجاه ابناء لبنان المقيمين في هذه الديار هي تاريخية. وهذا الشعب سواء كان من المواردنة، او من الارثوذكس، او اي طائفة اخرى، يرحب بكم ابا للبنانيين جميعا، حاملين اليه الروح الانطاكية المشرقية، وعبق وادي قاديشا واريح قنوبين.

غدا يا صاحب النيافة، تغادرنا بالسلامة، عائدا الى ربوع الوطن الحبيب، حاملا اليه صورة عن الوجه الاخر له في المقلب الثاني من الارض، بكل مشاكله وهمومه ومطالبه. لكننا نحن سنحلمكم شيئا آخر.

نحن يا صاحب الغبطة، نحلمكم محبة ومودة وطمأنينة، نحلمكم محبة للبنان، وقد ازدادت هموم شعبه، وضافت بهم سبل الحياة، لكننا على ثقة بأنه سينفض عنه اثار الضعف ويقف مجددا.

نعرف ان صراع البقاء الذي يخوضه اللبنانيون مر وقاس، ولكن ايماننا بقدرتهم وصلابة انتمائهم الوطني، يجعلنا نطمئن ايدا الى ان هذا الوطن الصغير لا بد من ان يخرج الى النور مهما طالتم ظلمته القسرية، وانه بقيادة عماد الوحدة، وعماد الاصرار، وعماد التحرير، فخامة الرئيس اميل لحود، وبتعاون الطيبين المخلصين امثالكم ومشورتهم سينهض بعد كل كبوة، حرا، موحدا، لبنان الثقافة، ولبنان حقوق الانسان ولبنان الرسالة.

ثم تكلم السناتور بيوكانن فرحب بالبطريك صفير "بين محبيه"، ثم تحدث كاهن رعية سيدة لبنان للمواردنة المونسنيور خيرالله عوكر فأكد "تعلق ابناء الطائفة المنتشرين بالبطريركية المارونية وبالبطريك صفير"، ثم كانت كلمة النائبة الفيديريالية رئيسة الحزب الديموقراطي الجديد في كندا التي رحبت بالبطريك صفير واثنت على دور اللبنانيين في انهاض كندا، فكلمة للنائب الفيديريالي زعيم الحزب الليبيرالي سميث الذي نوه بالجالية اللبنانية و"اخلاصها لكندا ومناقبيتها" ورحب بالبطريك صفير، ثم كلمة لرئيس الاساقفة السابق الذي رعى بناء الكنيسة المارونية المطران هايز.

وعلى الاثر القى المطران جوزف خوري كلمة جاء فيها: "شئنا ان نقول كلمة الوداع من هاليفاكس لأنها الاقرب الى الوطن. امس في وندسور استأذنت وقلت حصيلة التعاليم التي القيتها علينا خلال هذه الزيارة الراحوية التاريخية، واليوم اسمحوا يا صاحب النيافة ان انهي بهذه الكلمة التي تحمل في طياتها التجاذب الواقعي الذي يعيشه المغترب المؤمن.

غالبا ما نشعر نحن هنا في عالم الاغتراب اننا سجناء الحاضر كأنما فقدنا الوعي بأن نكون جزءا من تاريخ سابق له تاريخ لاحق. اننا نقف حيارى امام هذه المعضلة فالتاريخ السابق نعرفه وهو تقاليدنا، واللاحق هو احيالنا الطالعة، هو المصير في عالم الانتشار.

بكركي وبعيدا واليرزة

لا شك في ان تقاليدنا هي تراث كنيستنا المارونية وحضارة وطننا لبنان خصوصا، فهذه وتلك هي ذاكرتنا الحية، ذاكرة آباء قديسين، ذاكرة بطاركة عصاهم من خشب وقلوبهم من ذهب، هي ذاكرة اساقفة وكهنة ورهبان اتقياء نمت الوديعه في غيرتهم الراحوية: هي ذاكرة استقلال لبنان وشهداء لبنان. وهي ذاكرة بكركي وبعيدا واليرزة مثلث لا بد منه لديمومة لبنان.

هي ذاكرة هذا الشعب المقدم شهيد الامانة التي نقلها الينا جميعهم (...)

خوفنا في الاغتراب مزدوج الوجه. خوفنا من ناحية ان يكون التقليد الذي نحمله معنا، عوائد جامدة فيجمد الافكار والتطور، ومن ناحية اخرى ان يصبح التطور تقليدا آخر لا يمت بصلة الى اصلته، فيضيع التراث وتضيع هويته معنا، فتبلى التقليد ويصبح الحديث عنه حكايات وقصص".

وخلص شاكرًا للبطريرك زيارته و متمنيا له سفرا موفقا.

صغير

ثم قدم المونسنيور عوكر البطريرك صغير با انه "بطل الاستقلال الثاني" وسط تصفيق حاد، والقى البطريرك كلمة بالانكليزية جاء فيها: "هذا اللقاء الاخير الذي يجمعنا الليلة يرتدي بالنسبة الينا اهمية كبيرة، لأنه اللقاء الذي يتيح لنا الفرصة لنراكم مجتمعين. قد يتأتى لنا ان نرى بعضكم في لبنان، افرادا او جماعات صغيرة، ولكننا لانعتقد انه سيتسنى لنا ان نراكم كما نراكم الليلة كأفراد عائلة واحدة تشدهم بعضهم الى بعض عاطفة مودة، ورابطة تعاون. ان وصييتنا اليكم ان تظلوا متكاتفين، متضامنين. وان تلتقوا دائما حول كنيستكم ومطرانكم وكاهن رعيتكم، وان تعلموا ما في استطاعتكم على تدليل كل الصعوبات التي من شأنها ان تفرق صفوفكم، وما من صعوبة الا تذلل بالحذر والتفاهم وروح المحبة.

وانا نهنتكم بما احرزتم من مكانة في مدينتكم هذه، وذلك ما حصلتم واكتسبتم من خبرة ومهارة في ما تقومون به من أعمال في مختلف القطاعات. وان تعاشكم مع مواطنكم من أبناء كندا، من شأنه ان يكسبكم لديهم التقدير. وهذه شهادة سرنا ان نسمعها من السلطات الروحية في مختلف الرعايا التي تأتي لنا ان نزورها.

ورأينا ايضا انهم اضافة الى اخلاصهم لوطنهم الثاني كندا لا يزالون متمسكين ببلدهم الاول لبنان، وهم تواقون الى العودة اليه ولو لأسابيع، وان تسود ربوعه الثقة المتبادلة، بعيدا عن مداخلات غير لبنانية، وان يتمتع بما له حق فيه من سيادة واستقلال وقرار حر. وهذه مقومات يفتقر اليها منذ قرابة ربع قرن، ويأمل في ان يستعيدها عما قريب بفضل تضامن جميع أبنائه.

وانا اذ نجدد شكرنا لحفاوتكم بنا وبمرافقينا نستودعكم الله والسيدة العذراء سيدة لبنان، ضارعين اليه تعالى وبشفاعتها ان يوالي عليكم نعمه وبركاته ويحفظكم على أحسن حال".

ثم تكلم البطريرك صغير بالعربية، قال: "هذا اللقاء يتميز بكثير من الامور قد يطول تعدادها، لم أرها في أي لقاء آخر من اللقاءات التي تمت، اولا بالامس اقيمت حفلة غنائية وانشيد دينية على شرفنا، وجاءت الدبكة بعدها، ولكن الدبكة رأيناها في مكان اخر ايضا، واليوم نرى ان هناك أموراً كثيرة يتميز بها هذا اللقاء، لقد كتب اسمنا على قناني النبيذ ونحن لا نشرب. وكتب اسمنا على كؤوس ونحن قلما نستعملها... واليوم احتفلنا معكم بعيد ميلاد كاهن رعيتكم المونسنيور خير الله عوكر، ولكن مأخذنا عليه انه بالغ وغالى في امتداحنا ونحن لا نستحق كل هذا القول".

وهنا صاح أحد الحضور: "بعدو مقصّر".

واضاف صغير: "عندما استمعت الى بعض منكم زاد ايماني بالله وثقتي بوطني. أعرف انكم جميعا تحبون وطنكم لبنان مثلما تحبون وطنكم الثاني كندا وهذا ما أريد ان اهنئكم عليه.

شرط العودة

سمعنا بعض الشبان يقولون نريد ان نرجع الى لبنان في أقرب وقت، ولكنه وضع شرطا لذلك وقال "شرط الا يطاردوننا كمجرمين". هذا قول يحدث جرحا في القلب. ونحن نريد المصالحة في لبنان التي تشمل جميع اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ومشاربهم. لبنان لن يكون الا لجميع أبنائه بجميع طوائفه واذا كان غير ذلك فلن يكون لبنان ونحن نريد ان يكون لبنان. والكنيسة والبطريرك والمطارنة والاكليروس وجميع المسيحيين في لبنان يريدون ان يفتحوا قلوبهم ويمدوا ايديهم الى جميع اللبنانيين. هذا شرط لا بد منه لكي يعود لبنان الى سابق عهده في الازدهار والامان والسلام.

ولبنان رغم المصائب التي انتابته والحروب التي توالى عليه والنوعت التي اطلقت عليه بأنه ضعيف وبأن فيه طوائف متعددة، ولكنني أصدقكم القول ان لبنان اقوى بلد في المنطقة من أي بلد آخر لأن نظامه يرتكز على الشعب وليس على الرجل.

نعم انه يرتكز على شعب وان كانت الديمقراطية فيه ليست كاملة تامة. وقد عرفنا هنا ممن حدثونا ان الديمقراطية تشمل جميع شرائح المجتمع. فهناك المدينة التي لها نظامها وهناك المقاطعة التي لها مجلسها ونوابها ورئيس حكومتها وهناك ايضا البلاد التي لها نظامها ورئيس وزرائها. هذا ما نتمناه اي ان يقرر الشعب ما يريد وليس ان يقرر عنه من لا يسمعه. نعم نحن نريد ان يكون لبنان على ما أراده من سبقونا بلدا ديموقراطيا يقرر الشعب فيه ما يريد ان يقرره، ولا نرضى ان يقرر عنا مصيرنا من يريد ان يقرره في غيابنا. وهذا غير مقبول.

واننا ونحن نودعكم نعرف انكم مشدودون الى بلدكم الاول كما قال لنا بعضهم: نحن بأجسادنا هنا ولكن افكارنا دائما في لبنان. ومن كانت افكاره في لبنان وطنه، فان وطنه لا بد من ان يستعيد جميع مقوماته من استقلال وسيادة وقرار حر. نستودعكم الله ونسأله ان يبارككم وان يبارك عيالكم ورعيتم وابرشيتكم. وصيتي اليكم ان تكونوا مخلصين لكندا البلد المضيف الذي فتح لكم المجال لتظهروا مواهبكم وما لكم من خبرة ولكي تساهموا في ازدهار البلد واعماره. ولكننا نعرف كما قلنا ان افكاركم مشدودة الى لبنان واننا نطمح بأن نراكم على الاقل لأسابيع فيه. وانني أقول لكم الى اللقاء في ربوع لبنان".

مؤتمر صحافي

وبعد الاستقبال الذي تخلله غداء، التقى البطريرك الماروني الوفد الاعلامي المرافق له، وكان بينه وبينهم حوار، فسئل ما تعليقه على الاستعداد الذي بدأ التحضير له في بيروت لاستقباله واللغط الحاصل حوله؟ فأجاب: "لم نعرف كيف سيكون هذا الاستقبال. نحن تعودنا ان نساfer وان نعود الى لبنان بطريقة بسيطة من دون ان تكون هناك مشاكل، ونأمل في ان لا تكون هناك مشاكل. نأمل في ان لا تكون هناك مشاكل".

وهل هو يخشى مشاكل معينة؟ أجاب: "لا علم لي بذلك انتم تقولون لي ما لم أعرفه. نأمل في ألا تكون هناك مشاكل، اذ اننا عندما نتحدث عن لبنان انما نتحدث عن كل لبنان وعن جميع طوائفه وأحزابه، اما ان يكون هناك مجال للاستغلال، وان يقال انني مع أناس ضد أناس فهذا ليس دوري".

ولماذا أثارت هذه الزيارة الجدل الحاصل؟ أجاب: "هذا سؤال يوجه الى سواي وليس الي".

وهل لديه معلومات عن هذا الاستقبال وكيف سيكون عليه موقف الدولة؟ أجاب: "كلا... كلا... لا علم لي بذلك". وكيف يقوّم زيارته للولايات المتحدة في ضوء ما أثير عن عدم لقائه بالرئيس جورج دبليو بوش؟ أجاب: "نحن عندما كنا في المطار قلنا ان زيارتنا ستكون راعوية وكانت زيارة راعوية وكانت زيارة راعوية، والقصد منها ان نلتقي ابناؤنا وان نرقي الى الدرجة الاسقفية أحد الكهنة المولودين في الولايات المتحدة وهذا ما تم. وانتم رافقتونا ورأيتم كيف استقبلنا الناس، وهذه كانت غايتنا اي ان نحسب الناس بأن لبنان وانه وطنهم وان عليهم ان يساعده على قدر الامكان وان يعودوا اليه عندما تسمح الظروف لهم بذلك".

وكيف كانت انطباعاته من استقبال الناس له؟ أجاب: "جيدة جدا، وهذا دليل على انهم يتعلقون بالكنيسة اذا كانوا مسيحيين، وبلبنان اذا كانوا مسيحيين ومسلمين".

وهل لاحظ ان تحركا معيناً يقوم به المغتربون على غرار تحركهم حيال استقلال لبنان في العهد العثماني؟ اجاب: "نعم، انعم يبحثون عن طريقة لكي يساعدوا وطنهم لبنان، وهذه الطريقة يجدونها اذ ان من بينهم من لهم مراكز وفي امكانهم ان يتصلوا بالمسؤولين وان يحسسونهم بهذا الامر، وهم ايضا يساعدون وطنهم عندما يساعدون ذويهم في لبنان".
وفي التاسعة والربع ليلا (الرابعة والربع فجر امس بتوقيت بيروت)، سافر البطريرك صفير والوفد المرافق الى بيروت على متن طائرة خاصة لنائب رئيس مجلس الوزراء عصام فارس، كانت اقلت الوفد من بيروت الى الولايات المتحدة الاميركية لدى بدء زيارته في ١٣ شباط الفائت.